الباب السادس

أمريكا والقوة الناعمة

أمريكا وسياسة القوة الناعمة

منذ فجر الإسلام وأعداء الدين من الكفار في حرب عليه، وصدق الله في وصفه لحالهم:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} الأنفال٣٦

وحرب هؤلاء على الإسلام وأهله اتخذت ولا زالت شكلين أو طريقين: طريق المواجهة المادية السافرة، متمثلة في الحرب العسكرية، ابتداء من معركة بدر، مرورا بالحملات الصليبية، وانتهاء بالعراق وأفغانستان أما الطريق الثانية، فلا تتوسل بالغزو العسكري الصليبي المباشر لبلاد المسلمين، من أجل تمزيقهم وتفريقهم ونهب خيرات بلادهم، وإنما تعتمد أسلوب القوة الناعمة غير الظاهر والماكر الخفي في حربها ضد الإسلام وأمتة وإذا كانت القوة الناعمة تقابل الحرب العسكرية المباشرة، كأسلوبين يكملان بعضهما بعضاً، فالقوة الناعمة أخطر وأدهى وأمر ، ذلك أنها حرب غير معلنة، لكنها ضروس، ظاهرها فيه الرحمة لكن منها يأتي العذاب كله ومفهوم القوة الناعمة ليس جديداً، وهو معمول به على مر تاريخ حرب الكفار المستعمرين على الأمة ودينها، لكن الجديد فيه

هو أنه أخذ يستعمل أدوات كثيرة متنوعة ومبدعة، لم تكن متوفرة قبل الحرب العالمية الثانية وهكذا فمصطلح القوة الناعمة أو القوة اللينة الذي تحدث عنه جوزيف ناي ، إنما يعبر عن سياسة حرب ضد الإسلام ليست مستحدثة وإذا كنا بصدد كشف خطر القوة الناعمة العظيم، في حرب أمريكا على الإسلام والمسلمين، حتى نحذر منها ونواجهها ، فلا أفضل من كلام جوزيف ناي في كشف أهدافها وأدواتها أي كشف مستور الحرب الخفية المستعرة ضد الإسلام وأمة الإسلام لقد رأى جوزيف ناي أن قوة أمريكا العسكرية الغاشمة، وهيمنتها الاقتصادية البشعة، لم تعد تكفي كسبل للهيمنة والسيطرة، بل تسيء كثيراً لصورتها، وتشكل خطراً على أهدافها وتطلعاتها الاقتصادية والسياسية والثقافية ولذلك دعاها إلى استخدام أدوات ووسائل وأساليب مستترة، ماكرة، غير مباشرة سماها القوة الناعمة في الترويج والترغيب لسياساتها، حتى تحقق ما تريد من أهدافها الاستعمارية فجاءت رسالته تقول: يمكن لأمريكا أن تحصل على النتائج التي تريدها في العالم خصوصاً في بلاد المسلمين وأن تبقى مهيمنة، إذا هي انتبهت لقوتها اللينة في سياستها تجاهه،إضافة إلى قوتها العسكري كلما لزم فالرجل يريد من أمريكا أن تظهر براعة كبيرة في ممارسة القوة الناعمة، كما أظهرت ممارستها للقوة الصلبة لكسب حروبها ٠

ولا شك أن إدارة كلينتون - في التسعينات - استفادت كثيراً من سياسة القوة الناعمة هذه، ولذلك عرفت سياستها حينئذ بسياسة الوفاق على عكس إدارة بوش الابن والمحافظين الجدد، التي فضلت سياسات مكشوفة في حربها على الإسلام والمسلمين، وتعالت حتى على حلفائها في أوروبا، مما جعلها تخسر كثيراً حول العالم يقول ناي في ذلك أعتقد أن سياسة بوش تركت الولايات المتحدة أضعف، فغزو العراق كان خطأ استراتيجياً فادحاً، خفض من قوة أمريكا الناعمة في العالم الإسلامي، ولم يعزز لنا مزايا في الطاقة أو منافع جيوسياسية ويمكن تلخيص أفكار سياسة القوة الناعمة الخطيرة ،التي تتبناها الإدارات الأمريكية المتعاقبة ، في فرض هيمنتها الاستعمارية، وباتفاق كامل على صحتها وأهميتها، وبنسب متفاوتة في التطبيق بالتالية:

١-إن الشكل العسكري في الاستعمار الأمريكي ينجز كثيراً من الأهداف، ولكنه يجب أن لا يكون الوحيد ومن الأهمية بمكان أن تضع أمريكا برامج في السياسة، تجذب الآخرين إليها، وأن لا تجبرهم على الانصياع لإرادتها، من خلال التهديد، أو استعمال القوة العسكرية أو الاقتصادية كخيار وحيد وهذا لا ينفي أن القوة القاسية العسكرية تساعد الآخرين خصوصاً في بلاد المسلمين على قبول أدوات القوة الناعمة، والرضوخ لها، فسياسة العصا تساعد سياسة الجزرة.

٢- القوة الناعمة لا تعني الإقناع، فهي أكثر من الإقناع والبرهنة بالجدل

على صحة الفكر والسياسات، تعتمد الترغيب والجذب والإغراء، الذي يؤدي إلى التقليد والرضوخ.

٣- إن فرض ثقافة أمريكا كثقافة عالمية ، وقدرتها على وضع قواعد مفضلة، ومؤسسات تحكم بلاد المسلمين، هي مصادر حاسمة للقوة، كقيم الديمقراطية، والحرية، والتطور السريع، والمؤسسات، والانفتاح، والشخصية المحبوبة فهذه لا ترتبط بالحكومة الأمريكية وصورتها البشعة في عين العالم، كما ترتبط بها القوة القاسية

٤-إن أسلحة القوة الناعمة، التي تجذب الآخرين إليك، تجعل الآخرين يعجبون بك، وتغريهم مبادئك، وتجعلهم يتطلعون إلى ما تقوم به، فيتخذون موقفًا إيجابيًا من قِيَمك وأفكارك، وبالتالي تتفق رغبتهم مع رغبتك وتخلق لنفسك جاذبية - بدرجة ما تعجز الأسلحة الدموية أن تحصل عليها وتعتمد على قدرة أمريكا على صياغة رغبات الآخرين، بعد أن تكون بمثابة قدوة لهم، يتبنون قِيَمها وأسلوب حياتها، وبذلك تغني عن استخدام أسلوب العصا والجبر، إضافة إلى أنها تستمر إلى أمد بعيد.

٥- المطلوب هو قوة ذكية تدمج بين أدوات القوة الناعمة، والقوة الصلبة، في استراتيجيات ناجحة وهذا ما أشارت إليه وزيرة الخارجية الأمريكية، هيلاري كلينتون، في غير مناسبة تقول إن الولايات المتحدة

ينبغي أن تستخدم ما يطلق عليه القوة الذكية، وهي جميع الأدوات المتاحة لدينا، والتي تشمل الدبلوماسية، والاقتصاد، والقوة المسلحة، والقانون،والثقافة وفي ظل القوة الذكية، ستكون الدبلوماسية في مقدمة سياستنا الخارجية، وهذا يتطلب التواصل مع الأصدقاء، والمعارضين، لتعزيز تحالفات قديمة، وإقامة تحالفات جديدة.

٦- إن أسلحة الحرب الدموية باهظة التكاليف على أمريكا، مقابل ما يمكن أن تقوم به أدوات القوة الناعمة فأمريكا تنفق ١٧ ضعف ما تنفقه على أعمالها الناعمة، على الحروب لذلك نرى جوزيف ناي يستنكر تجاهل أعمال القوة الناعمة، وأثرها الكبير، في تحقيق تفوق وسطوة أمريكا.

٧- القوة الناعمة أداة من أدوات الحرب النفسية التقليدية وإن تطورت أدواتها كثيراً منذ مدة، القصد منها تجنب اللجوء للقوة العسكرية المكلفة، والمراهنة على درء خطر، أو تحصيل غنيمة، دونما تكلفة حرب، قد يذهب في خضمها الأخضر واليابس، من كلا الطرفين ووفق جوزيف ناي، فقد أضحى من الصعب – في العالم المعاصر- استخدام العصا إذ أن القوة العسكرية، وعلى الرغم من ضرورتها كسياسة ردع وإكراه، إلا أنها أصبحت صعبة جداً، وأصبحت الحرب أمراً مكلف جداً من الناحية المادية ناهيك عن مناهضة الرأي العام المتزايدة للحروب، واستخدام القوة .

٨- أمريكا تمتلك مصادر كثيرة للقوة الناعمة: فهي تملك ٦٢% من أهم العلامات التجارية،وبها ٢٨% من جميع الطلاب الدارسين خارج بلادهم ، وهي أكثر دولة تستقطب المهاجرين، وتنشر الكتب الثقافية، والمؤلفات الموسيقية، وتنتج البحوث العلمية، والتقنية، إضافة إلى أنها أهم مصدر للأفلام، والبرامج التلفزيونية كما أن تجارة أمريكا الدولية واتصالاتها الكونية الهائلة، تساعدها إلى حد بعيد في فرض ثقافتها.

٩- ثقافة النخبة أداة من أدوات القوة الناعمة، لذلك يجب الاهتمام بالمبادلات الأكاديمية، والعلمية، وصناعة القادة، التي تروج للفكر الأمريكي الرأسمالي، وتجعل حامليه أبواقاً لها في بلادهم يقول كولن باول وزير الخارجية الأمريكي السابق في ذلك لا أستطيع أن أفكر في رصيد لبلدنا أثمن من صداقة قادة المستقبل، الذين تلقوا تعليمهم هنا لأن الطلبة الدوليين، يعودون لأوطانهم، في العادة، بتقدير أكبر للقيم والمؤسسات الأمريكية، فهم يشكلون خزاناً رائعاً للنوايا الحسنة تجاه البلد الذي درسوا فيه، وفي كون الكثير منهم سينتهي به الأمر إلى تولي السلطة هناك، في بلده الأم كما أن الثقافة الشعبية، المتمثلة فى الأفلام والأغاني والرياضة، وما إلى ذلك، مما يبث القيم الأمريكية، خصوصاً هوليوود لها مفعول السحر في العالم،وهي أكبر مروج للفكر الذي يعتمد عليه الكثيرون اليوم ناهيك عن سيطرة أمريكا على مواقع النت،وألعاب الفيديو، التي تصل كل بيت.

١٠-المؤسسات غير الحكومية تتمتع بقوة ناعمة كبيرة، ويمكن أن تلعب دوراً هاماً، في إخضاع الآخرين، لما تريد، مثل المنظمات الحقوقية، والشركات عابرة القارات، خاصة أنها تستفيد الآن من ثورة المعلومات والاتصالات، التي تتحكم فيها أمريكا٠

١١- إن مساعدات التنمية الدولية، والدبلوماسية العامة، من أهم أدوات القوة الناعمة وهذه تساعد، إلى حد بعيد، في تحسين صورة أمريكا في العالم ومن أجل ذلك يقترح جوزيف ناي استخدام ثلاثة أبعاد للدبلوماسية العامة وهي:

١-الاتصالات اليومية: أي توضيح السياسات المحلية، والخارجية، عبر الإعلام٠

٢-الاتصال الاستراتيجي: أي الحملات السياسية الدعائية المركزة

٣- العلاقات الدائمة مع الشخصيات، عبر المنح الدراسية، والمبادلات الأكاديمية، والتدريب، والمؤتمرات٠

١٢- نشر المعلومات المضللة، وفبركتها، من خلال وسائل الإعلام، والدعاية التي تسيطر عليها أمريكا من جهة، وكتم كل ما يعكس سلبيات الرأسمالية، ومكر السياسات الخبيثة لحكامها من جهة أخرى وما شراء البنتاغون للآلاف من النسخ من أجل تدميرها، لكتاب عملية القلب المظلم لأحد الضباط في أفغانستان، مؤخراً، يكشف فيه عن إجرامها هناك، إلا

مثال يؤكد ذلك .

١٣-العالم العربى وبلاد المسلمين يمثل تحدياً خاصاً أمام استخدام القوة الناعمة فيه، لأسباب عديدة، منها الفوارق الثقافية الكبيرة، بين أمريكا، والعالم العربى ، ونزعة العداء لها لذلك فقد وضعت لجنة استشارية بعض التوجيهات، لزيادة قوة أمريكا الناعمة في البلاد العربية الإسلامية، مثل إنشاء المكتبات، وترجمة الكتب الغربية إلى العربية، وزيادة المنح الدراسية، والزيارات الأكاديمية وفي هذا الصدد يشدّد جوزيف ناي، على أن أهم شيء، هو تطوير إستراتيجية، بعيدة الأمد، للمبادلات الثقافية والتعليمية، التي تنمي مجتمعاً مدنياً، أغنى وأخصب، وأكثر انفتاحاً، في بلدان العالم العربى ويضيف إن أكثر الناطقين باسم أمريكا، تأثيرًا، ليسوا هم الأمريكيون، بل وكلاؤهم المحليون، من أهل البلاد الأصليين، الذين يفهمون فضائل أمريكا وبالتالي يعملون على الترويج لها.

هذه أبرز ملامح القوة الناعمة من منظور السياسة الأمريكية ونحن المسلمون، عندما ننظر في أدوات القوة الناعمة، التي تستخدمها أمريكا، خصوصاً ما تعلق منها بسياستها تجاه بلادنا وقضايانا، تتجلى لنا الأمور التالية :

- ان استخدام أساليب القوة الناعمة، بجانب القوة العسكرية، هدفه المزيد من الهيمنة الرأسمالية، على بلاد المسلمين أي أن هذه الأساليب

والأدوات، ليست نظيفة، فأمريكا تعادي الإسلام، وتعادي أمة الإسلام، وهي بعقليتها الرأسمالية الاستعمارية، لا تقدم للمسلمين إلا كل شر، حتى وإن أظهرت عكس ذلك.

- تعترف سياسة القوة الناعمة الأمريكية، أن أدواتها اللينة، تكمل البلطجة العسكرية، والهيمنة الاقتصادية، وهذا دليل دامغ على نوايا أمريكا ضدنا .

- إن الهدف الأوحد بعد الهيمنة الاستعمارية طبعاً لأدوات القوة الناعمة، المعمول بها في بلادنا، هو تضليلنا، حتى نسير في ما تريده أمريكا، ونحن نصفق لها، وننظر لها بإعجاب، فنقوم بما تريده، ونحن غافلون عن أهدافها وسياساتها فأمريكا تدرك، حق الإدراك، أن أعمال القوة الناعمة، التي تقودها في بلادنا، لا تستفز الناس، كالأعمال العسكرية التي تجعلهم يقفون ضدها، بل يمكن أن يقبلها الكثيرون، على أنها منح من دولة عظمى، تحب الخير للبشرية وهكذا فسياسة القوة الناعمة الأمريكية تقوم على القيام بالأعمال،وإخفاء الأهداف وأعمال القوة الناعمة، لا تستهدف حكام المسلمين، وأنظمتهم المأجورة، فالحكام في صف أمريكا ضد شعوبهم، وقد فتحوا بلادهم، ليس فقط أمام الناعم من الأفكار والأعمال والسياسات الخبيثة لأمريكا، بل تمترسوا معها، في حربها العسكرية، على شعوبهم.

- إن أساليب ووسائل القوة الناعمة، التي تنتهجها أمريكا في بلادنا،

أخطر علينا من حربها العسكرية بكثير، ذلك أن ما لا تستطيع أمريكا تحقيقه بالقوة الغاشمة، كما يحدث في العراق وأفغانستان، يمكن لها أن تحققه بقوتها الناعمة.

- إن الأعمال السياسية، التي تقودها أمريكا في بلادنا والتي تعتبر من أدوات القوة الناعمة، لم تجلب للمسلمين، وبلادهم إلا الدمار والناظر في كل قضايا المسلمين، التي تملك أمريكا ملفاتها، بوصفها المخرب الأول للسياسات في العالم، يرى بوضوح أن تلك السياسات تعادينا بامتياز، والواقع يغني عن ضرب الأمثلة كما أن التصريحات السياسية الكاذبة، التي تستخدمها الإدارة الأمريكية، أثناء رعايتها لقضايانا، مثل شعار أوباما الأخير، من أن أمريكا ليست في حرب مع الإسلام، تسقط وتتهافت مع صواريخها، التي تفتك الآن بالآلاف، من المسلمين الأبرياء، في أفغانستان، وتسقط مع سجونها الممتلئة بنساء ورجال المسلمين هنا وهناك، وتسقط مع رعايتها لمن يهاجم دين الإسلام، وعقيدة الإسلام، وقرآن المسلمين، وإمام المسلمين الرسول الكريم.

- إن سياسة أمريكا في بلاد المسلمين ثابتة، ولا تتأثر بذهاب إدارة، وقدوم أخرى، وهي سياسة تقوم على إستراتيجية عدائية تخريبية، و تصنعها دوائر أكبر من الرئيس نفسه لكن الفرق بين الإدارات، هو في التعبير عن هذه السياسة، فبوش الابن كان واضحاً صريحاً في إعلانها حرب صليبية علينا، أما أوباما، فيحاول الضرب بقفاز من حرير، وهذا

أدهى وأمر وللتأكيد على ذلك نتساءل: هل توقف الغزو الصليبي، لبلادنا، على عهد الإدارة الحالية ؟ وهل توقف القتل بالجملة للمسلمين ؟ وهل توقف النهب المنظم لمقدراتنا بينما يعيش الملايين منا في فقر مدقع ؟ وهل أنصفتنا الإدارة الحالية، وهي تلعب بقضايانا، أم أن السياسات التخريبية استمرت وبقوة؟ !

- يخطىء من يظن أن أمريكا، الرأسمالية، لديها ما تقدمة للبشرية، من أفكار، وقيم، وطراز عيش يحتذى وما تفرضه أساليب، ووسائل القوة الناعمة الأمريكية علينا، من أفكار وشعارات وسياسات زائف متهافت، لا يقبله، وينادي به، إلا كل معجب بثقافة العم سام، المصنوع على يديه فالرأسمالية شر مستطير، في كل مناحي الحياة الإنسانية: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، لفساد الأسس، التي بنيت عليها أحكامه، وقوانينه، التي جعلت الإنسان، وحياته العملية، إنساناً مادياً بحتاً وهذا يعود للعقيدة الفاسدة، التي ينادي بها المبدأ الرأسمالي، وهي فصل الدين عن الحياة عقيدة الحل الوسط، التي لم تقنع عقلاً، ولم توافق فطرة سليمة ومن يبرر لأمريكا نشر ثقافتها، حول العالم،خصوصاً في بلاد المسلمين المستهدفة، في المقام الأول، على أساس أنها ثقافة حضارية رفيعة ومقبولة، عليه إدراك مفردات تلك الثقافة، وإدراك ما فيها من فساد كبير فأمريكا الديمقراطية الرأسمالية، لا يجوز أن تكون محط أنظار أحد منا، نحن المسلمين، وبالتالي إعطاءها الحق في فرض قيمها،

وأفكارها علينا هذا إن نحن طبعا فهمنا مبدأنا، وأدركنا أنه وحده الصحيح، ولم نفقد هويتنا بالانبطاح أمام كل فكر مستورد دخيل، ظاهره يسرق النظر، وداخله سم زعاف إن الناظر في الرأسمالية الفاسدة التي تقودها أمريكا، يرى إجرامها في حق البشرية، عموماً، وفي حق الأمة الإسلامية، على وجه الخصوص ومن ذلك:

استعمارها السياسي، خصوصا في بلاد المسلين، من أجل السيطرة على النظم السياسية، التي تمكنها من نهب كل مقدراتنا، وإبقائنا فقراء ٠

- استعمارها الاقتصادي، ومنه التحكم النقدي، وسياسة القروض، مسخرة في ذلك المنظمات الدولية، وبعض الأفكار الخداعة، كسياسات السوق، وأفكار العولمة، والخصخصة، وغيرها، علماً أنها تمارس نقيض هذه الأفكار، إذا تعارضت مع مصالحها ٠

- حروبها العسكرية المباشرة خصوصاً في بلاد المسلمين، التي تخوضها باسم حرب الإرهاب، لبسط هيمنتها السياسية، والاقتصادية، سواء بإثارة الفتن، أو التدخل لحل المنازعات، إضافة إلى زرع الكيانات المرفوضة، وإثارة فتن الحدود ٠

- سياستها في التشويه، والتضليل الفكري، والسياسي، والحرب المباشرة لضرب العمل الإسلامي، الذي يهدف إلى الانعتاق من هيمنتها، بالعمل من أجل وحدة الأمة، في كيانها السياسي، المسلوب منها، الخلافة ٠

- محاربتها للديمقراطية الكاذبة، ولجمها للحريات، في البلاد المحتلة خصوصاً في بلاد المسلمين، فأمريكا تنادي بها، وفي نفس الوقت، تحاربها سراً، ومن طرف خفي وهي تفعل ذلك، حتى يبقى مبدأها الرأسمالي قائماً، وحتى لا يضرب في صميمه، وبالتالي تتخلى عنه الشعوب فأمريكا لا تقبل أن تأخذ الشعوب بأفكارها - على فسادها وكذبها وخداعها - فتملك إرادتها السياسية، وتوقف الهدر في ثرواتها لصالحها، وبالتالي تكشف اقتصادها الهش، وتحطمه ونحن نتساءل هنا: هل تريد أمريكا الديمقراطية أن ينتخب المسلمون بالفعل حكامهم؟ أليست هذه هي الديمقراطية التي تتشدق بها ليل نهار؟ إن أمريكا تريد وجهاً واحداً للديمقراطية في بلاد المسلمين: أن يتخلى المسلمون عن دينهم، وأن يأخذوا تشريعاتها، وأفكارها الزائفة، التي تكرس انحطاطهم، وتبعيتهم لها،وبالتالي عدم نهوضهم ولا تقبل أن ينتخب المسلمون حكامهم، لأنهم لو فعلوا، نصبوا عليهم حاكماً مؤمناً مخلصاً قوياً، أول ما يفعله هو أن يقطع رأس الرأسمالية .

- إن آفات المجتمعات الرأسمالية - ومنها الأمريكي- دليل على فساد مبدأها، ويجعلها غير مؤهلة لأن تقدم للبشرية أي خير يرجى فكيف ينادي من ينادي، بعد ذلك، بنشر الأيدولوجيا، والثقافة الأمريكية، كأداة قوة ناعمة، في بلادنا، بينما تعم الجريمة على أنواعها عندهم، وتنتشر الإباحية والمخدرات انتشار النار في الهشيم، وينعدم الأمن، وتعم القلاقل

الاقتصادية، ويسود التفاوت الطبقي الفاحش، وتعم الفوضى الجنسية، وتضيع الأنساب، وتتفكك الأسرة، بل تنقرض، وينتشر النهب، والاحتيال القانوني، والاحتكارات، والرشوات ناهيك عن سياساتها البلطجية، وحروبها الاستعمارية، وهيمنتها الاقتصادية، التي تستبيح بلادنا ليل نهار فمن ينادي بذلك منا، إما أن يكون عميلاً فكرياً، بامتياز، يخدم أسياده الأمريكان، وإما جاهل بمفردات الواقع، عليه أن يتعلم، وإما مجنون، عليه مراجعة قواه العقلية .

نخلص إلى القول أن القوة الناعمة، في المفهوم العملي لأمريكا، هي الصورة الأخرى للقوة الصلبة، أو الأعمال العسكرية، فهما وجهان لعملة واحدة: العصا والجبر والحرب المادية من جانب، والجزرة أو أعمال الجذب اللينة، في الجانب الآخر، في تناسق وتكامل حتى وإن ظهرا متناقضين عضوياً لتحقيق أهداف الاحتلال في بلادنا .

والغرب في حرب شرسة مع الإسلام، وأمة الإسلام، وهذه حقيقة عقدية تاريخية سياسية، لا ينكرها إلا كل مكابر وإذا كان المسلمون يعون أعمال أمريكا العسكرية، وأهدافها في بلادهم، عليهم أن يدركوا - وبنفس المستوى - خطر أعمالها الناعمة الخفية، في سياستها تجاههم، فيتصدون لها ، ويناوؤنها، ويعملون على أن لا يكونوا حجارة شطرنج تحرك وهي راغبة فامريكا اليوم لا تخاف إلا من شيء واحد: تحرك أمة الإسلام الظاهر والمتنامي باتجاه وحدتها السياسية، في دولتها دولة

الخلافة، وهذا ما يدفعها لأن تبذل سواء في حربها العسكرية أو أعمال قوتها الناعمة من أجل منعها من النهوض مرة أخرى فهل نتركها تفعل ما تريد؟.

تحديات أمام القوة الناعمة الأمريكية:

تواجه القوة الناعمة الأمريكية تحديات هائلة جرّاء الانتشار الهائل للقنوات التلفزيونية الفضائية وبروز صناعة السينما على المستويات الإقليمية والمحلية مثل سينما بوليود الهندية ونمو وانتشار القنوات الفضائية عالمياً، لم يزد كثيراً من فرص إنهاء الاحتكار والهيمنة الأنجلو- أمريكية على الأخبار التلفزيونية، وذلك لم يتحقق كما كان مفترضاً بسبب التكلفة الباهظة لإنتاج وتحرير الأخبار التلفزيونية ،لكن هذا الأمر تغير مع تدشين عمل قناة الجزيرة عام ١٩٩٦ ، فالتمويل السخي الذي تقدمه قطر للقناة التي تتخذ الدوحة مقراً لها، مكّنها من منافسة القنوات الإخبارية العالمية مثل السي إن إن وفوكس نيوز.

وأصبح من الأمور المستقرة في الفكر السياسي أن مصادر قوة الدولة ومكونات نفوذها تتغير، وأن القوة العسكرية وحدها لم تعد تحقق سوى القليل، وأن للقوة في عالم اليوم مكونات متنوعة،عسكرية ودبلوماسية واقتصادية ومعنوية، تمنح الدولة القدرة على شق طريقها في العالم،وأن

جوهر القوة يجسده ضغط سياسي ونفسي وقد تكون الدولة قوية عسكرياً، لكن أساسها الداخلي متهافت، سياسياً واقتصادياً، وبالتالي لا يمكن اعتبارها قوية وقادرة في عالم تتنافس فيه القوى الدولية،على جبهات صراع اقتصادية وثقافية وسياسية وعسكرية وعلى الرغم من التركيز على استخدام القوة الصلبة من جانب الدول باعتبارها وسيلة لها أولوية لضمان أمنها القومي، إلا أنه لا يمكن تجاهل التأثير المتزايد للقوة الناعمة على العلاقات الدولية.

لم يعد ممكناً اليوم، استخدام أساليب الاحتلال المباشرة، أو استعمال القوة الصلبة، فقد جاء الإعلام والسلطات الرمزية الأخرى لتأدية ذات الدور، أي القدرة على تحقيق عائد في الشؤون الدولية من خلال الاستقطاب، أكثر مما يمكن تحقيقه عبر الإكراه وارتبط تعريف القوة تاريخياً بالقوة في الحرب، حيث اعتبرت عناصر مثل السكان، والأرض، والموارد الطبيعية، والقوة الاقتصادية، والاستقرار السياسي، والقوة العسكرية، المكونات الرئيسة لمفهوم القوة، فإذا كان لدى الدولة أسطول قوي وجيش مدرب بشكل جيد، وقوة ديمجرافية واقتصادية، فمن المحتمل أن تكون قادرة على إجبار أو إكراه، أو حتى رشوة جيرانها، ثم دفعهم إلى الامتثال لأهدافها.

لكن حصر القوة في هذه العناصر قد قوبل بانتقادات، لاحظت أن امتلاك عناصر القوة السابقة قد لا يؤدي بالضرورة إلى الحصول على النتائج المرجوة، فتمّ تقسيم القوة إلى: صلبة وناعمة وذكية ولبناء القوة الناعمة ، تعتمد الدول على ثلاثة مصادر:

ـ الثقافة: وهي القيم والممارسات التي تضفي معنى ما على أي مجتمع، وتتجسد في الأدب والفن والإعلام وتمتلك الولايات المتحدة نفوذاً وتأثيراً في عالمنا الراهن مستفيدة من شيوع اللغة الإنكليزية، سواء في لغة التخاطب اليومي، أم لغة التجارة والأعمال، وهناك اليوم عشرات الملايين، إن لم نقل مئات الملايين من البشر يأكلون ويلبسون على الطراز الأمريكي، ويستمعون الأغاني الأمريكية ويشاهدون الأفلام الأمريكية كما أن هناك اليوم مئات الملايين من البشر ممن يستخدمون الحواسيب والبرمجيات الإلكترونية الأمريكية، ويتكلمون الإنجليزية باعتبارها لغة التقنيات والأعمال وتداول العملة، ومن يقرأون الآداب ويطلعون على الأفكار ويتابعون الصحف والمجلات ووسائل الإعلام الأمريكية وبالتالي، فإذا كانت القوة الصلبة تنبع أساساً من القدرات العسكرية والاقتصادية، فإن القوة الناعمة تأتى من جاذبية النموذج، وما يمتلكه من قدرة التأثير والإغراء للنخب والجمهور على السواء فحينما تبدو السياسة الأمريكية مقبولة ومشروعة في أعين الآخرين، يتعاظم

دور القوة الناعمة أكثر، وبموازاة ذلك، تتراجع الحاجة إلى استخدام القوة العسكرية وعلى العكس من ذلك، فكلما تضخم استخدام قوة الإكراه، وضعفت شرعية مثل هذا الاستخدام، يتضاءل معها النفوذ الثقافي والسياسي والتجاري، وكل ما يدخل ضمن دائرة القوة الناعمة.

- القيم السياسية:مثل حرية الصحافة، وقدرة الفرد على انتقاد حكومته

- السياسة الخارجية:وهي مكون هام من مكونات القوة الناعمة فاتباع سياسات خارجية مصممة بشكل جيد يدفع الدول الأخرى إلى أن تحذو حذو الدولة التي تستخدم القوة الناعمة .

وقد تعرض مفهوم القوة الناعمة لانتقادات عديدة، من بينها: أنه مفهوم شديد العمومية، ومن الصعب تحديد الآثار التي تنتجها القوة الناعمة،علاوة على أن القوة الصلبة، من وجهة نظر الواقعيين، تظل الأكثر تأثيراً في العلاقات بين الدول والأحداث الجيوبوليتيكية ودفعت هذه الانتقادات إلى تطوير مفهوم آخر للقوة هو القوة الذكية.

فهي عبارة عن مزيج من القوة الصلبة والقوة الناعمة أي الربط بين التسامح والشدة ويقبل تعبير القوة الناعمة كثيراً من التسامح، بينما تقبل القوة الذكية بعض التشدد وتعني القوة الذكية لدى أرميتاج و ناي الدمج

بين القوة الصلبة وبين القوة الناعمة فمن خلال الجمع بين هاتين القوتين اللتين يطلق عليهما القوة الذكية ستتمكّن الولايات المتحدة من التعامل مع التحديات العالمية؛ حيث يوجد عدد من التحديات التي تواجهها واشنطن ليست ذات طبيعة عسكرية كصعود الصين التي حسب رأي الكاتبين تبني محطتي كهرباء تُداران بالفحم كل أسبوع، فالقوة العسكرية لن تفيد في التعامل مع تحديات من هذا النوع، ولكن التكنولوجيا الأمريكية المتطورة من الممكن أن تجعل الفحم الصيني نظيفاً، ويصبّ في حماية البيئة، وفتح أسواق جديدة أمام الصناعات الأمريكية.

تراجع دور القوة الصلبة:

نظراً لضخامة حجم القوة لدى بعض الدول وشعورها المفرط بهذه القوة، فقد ألفت التعويل على عضلاتها العسكرية ونفوذها السياسي والاقتصادي أكثر من انتهاج لعبة المساومات السياسية أو التمرس على فنون السيطرة الخفية والناعمة باستخدامها في كل وقت وحين وعلى هذا الأساس نفهم كثرة لجوء الساسة الأمريكيين إلى التدخلات العسكرية والمبالغة في إشهار السلاح في وجه الخصوم والأعداء أو من تعتبرهم مارقين وأشرار بل إن شعورها بمثل هذا التفوق قد غذى عندها شعوراً عميقاً بالقدرة على هندسة أوضاع العالم وتشكيل أحوال الشعوب والأمم

بقوة السلاح وفي مختلف مناطق العالم بما ينسجم مع رؤيتها ومصالحها الخاصة وقد وظفت الولايات المتحدة الأمريكية قوتها الاقتصادية والعسكرية، غير المسبوقة تاريخياً، لبسط نفوذها على العالم، ليس فقط بتفوقها الصناعي والتكنولوجي والعلمي، ولكن أيضاً بفضل قوة تسلحها وضخامة جيشها.

ولن يتراجع الأمريكيون عن خياراتهم العسكرية إلا بعد أن يواجهوا بقوة مضادة ومؤلمة تضطرهم إلى التسليم بحدود القوة وجدوى الجنوح إلى السلم والمساومات السياسية وهذا ما بيّنته فعلا تجربة اجتياح فيتنام وعملية اجتياح العراق وهناك خمسة تحولات دولية ساهمت في تراجع دور القوة الصلبة أو على الأقل قلّلت من تأثيرها، تمثلت في:

أولاً:الاعتماد الاقتصادي المتبادل والذي جعل من الصعب استخدام القوة في صورتها القهرية.

ثانياً:الشركات متعددة الجنسية، والمنظمات الدولية سواء الحكومية أو غير الحكومية، أصبحت قادرة على ممارسة أنواع من القوة كانت قاصرة على الدول القومية.

ثالثاً:انبعاث النزعات القومية قد صعّب كثيراً من استخدام القوة، فعلى سبيل المثال، كانت بعض المواقع العسكرية الصغيرة قادرة على إدارة

إمبراطورية مثل الإمبراطورية البريطانية، لكن في الوقت الحاضر، الولايات المتحدة، وجدت أنه من الصعب إخضاع العشائر الصومالية أو تهدئة الوضع في العراق، حتى مع زيادة عدد قواتها.

رابعاً:ساهم انتشار التكنولوجيا،خاصة في مجال تطوير الأسلحة النووية، والأسلحة التي تطبق تكتيكات غير متماثلة،في تعادل قوة الأطراف في أرض المعركة.

خامساً:التغير في قضايا العلاقات الدولية، جعل القوة العسكرية أقل قدرة على حل المشكلات المعاصرة، فامتلاك أقوى جيش لن يحلّ على سبيل المثال قضايا مثل الفقر والتلوث أو انتشار الأوبئة، كما أن استخدام القوة العسكرية أصبح مكلفاً جداً مقارنة بما كان في القرون الماضية.

تراجع تأثير القوة الناعمة الأمريكية:

لقد أدت السياسات التي انتهجتها الولايات المتحدة الأمريكية عقب هجمات ١١ سبتمبر، خاصة اعتمادها بشكل أساسي على موارد القوة الصلبة، إلى تراجع دور القوة الناعمة، وإضعاف النفوذ الأمريكي على الساحة العالمية، جاء القرار الأمريكي بالحرب في العراق مخالفاً لرغبات العديد من حلفائها، وغير متوافق مع قرارات مجلس الأمن الدولي ولم تعط الولايات المتحدة اهتماماً كافياً لقضايا الشرعية والصدق في

سياساتها تجاه العراق، فكان من الطبيعي أن تظهر استطلاعات الرأي تراجعاً كبيراً في القوة الناعمة الأمريكية ورفعت الولايات المتحدة، في إطار حربها على الإرهاب، شعار الغاية تبرر الوسيلة، فلم توفر الإجراءات القانونية الواجبة في قضايا مثل سجن أبو غريب، ومعتقل جوانتانامو، مما قوّض دعاوى أمريكا بالتزامها بالأخلاق، حيث جاءت هذه الأفعال متعارضة بشكل مباشر مع القيم التقليدية الأمريكية الخاصة بالحرية، وحقوق الإنسان، وسيادة القانون .

وأسهمت سياسات الولايات المتحدة تجاه قضية البيئة بدورها في تقليص القوة الناعمة الأمريكية كل هذه الأسباب أدت إلى إضعاف شرعية الولايات المتحدة، التي تعتبر العنصر الرئيسي للقوة الناعمة

أمريكا تستعيد القوة الذكية

إن الولايات المتحدة بحاجة إلى إعادة استكشاف الكيفية التي تستطيع بها أن تتحول إلى قوة ذكية كانت هذه هي الخلاصة التي انتهت إليها اللجنة الحزبية الثنائية التي تألفت من أعضاء جمهوريين وديمقراطيين في الكونجرس الأمريكي، وسفراء سابقين، وضباط عسكريين متقاعدين ، ورؤساء منظمات غير ساعية إلى الربح وانتهت إلى نتيجة مفادها أن الصورة الأمريكية والنفوذ الأمريكي قد انحدرا في غضون السنوات

الأخيرة، وأن الولايات المتحدة لابدّ وأن تتحول من تصدير الخوف إلى بثّ التفاؤل والأمل.

وقد دعا وزير الدفاع السابق روبرت جيتس حكومة الولايات المتحدة إلى تكريس المزيد من المال والجهد لتنمية القوة الناعمة، بما في ذلك الدبلوماسية، والمساعدات الاقتصادية، والاتصالات، لأن المؤسسة العسكرية وحدها غير قادرة على الدفاع عن المصالح الأمريكية في كافة أنحاء العالم ويبلغ الإنفاق العسكري ما يقرب من نصف تريليون دولار أمريكي سنوياً، مقارنة بميزانية وزارة الخارجية التي لا تتجاوز ٣٦ مليار دولار ولقد أقرّ بأنه من الغريب أن يلتمس جيتس من حكومته تخصيص المزيد من الموارد لوزارة الخارجية، وعزا ذلك إلى أن العالم لا يعيش زمناً طبيعياً.

أمريكا تصدّر الخوف:

ان التأثير الذي خلفه الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ كانت سبباً في انحراف أمريكا عن المسار الصحيح ففي أعقاب تلك الهجمات أصبحت الولايات المتحدة تصدّر الخوف والغضب بدلاً من القيم التقليدية المتمثلة في الأمل والتفاؤل وتحول خليج جوانتانامو إلى رمز عالمي أقوى من تمثال الحرية.

مبدأ جديد محل الحرب على الإرهاب

خلصت لجنة القوة الناعمة التي تشكلت بواسطة مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية إلى أن الإرهاب من المحتمل أن يستمر لعقود من الزمان وأن الإفراط في الاستجابة للاستفزازات من شأنه أن يلحق الضرر بالولايات المتحدة والنجاح في الكفاح ضد الإرهاب يتطلب إدارة السياسة الخارجية الأمريكية وفقاً لمبدأ وسط جديد يحل محل مبدأ الحرب ضد الإرهاب يتلخص هذا المبدأ الجديد في التعهد بالاستثمار في توفير السلع العامة العالمية التي تحتاج إليها الشعوب والحكومات في كافة أنحاء العالم ولكنها تعجز عن الحصول عليها بدون زعامة الولايات المتحدة وبمساعدة منها وبهذا فقط تستطيع الولايات المتحدة أن تعيد البناء الذي تحتاج إليه في التعامل مع التحديات العالمية القاسية وقد أوصت لجنة القوة الذكية بتركيز السياسة الخارجية على خمس نقاط:

- استعادة دور التحالفات، والشراكات، والمؤسسات المتعددة التي انزلق أغلبها إلى الفوضى في الأعوام الأخيرة بسبب التوجهات الأحادية.

- إعلاء دور التنمية الاقتصادية لمساعدة الولايات المتحدة في التوفيق بين مصالحها ومصالح الشعوب الأخرى في كل أنحاء العالم، بداية ً بمبادرة كبرى خاصة بتنمية الصحة العامة على مستوى العالم.

- الاستثمار في الدبلوماسية العامة التي تركز بصورة أقل على الأضواء الإعلامية وتهتم بالاتصالات المباشرة، والتعليم، وأشكال التبادل المختلفة التي تضم المجتمع المدني وتستهدف الشباب بصورة خاصة.

- مقاومة النـزوع إلى فرض الحماية ودعم المشاركة المستمرة في الاقتصاد العالمي، وهو الأمر الذي يشكل أهمية كبرى للنمو والرخاء في الداخل والخارج،مع الحرص على إشراك أولئك الذين تُركوا وراء الركب بسبب التغيرات التي أحدثها الاقتصاد الدولي المفتوح.

- العمل على إيجاد وتشكيل الإجماع العالمي وتنمية تقنيات الإبداع اللازمة للتعامل مع التحديات العالمية المتصاعدة الأهمية في مجالي أمن الطاقة وتغير المناخ.

- إن تطبيق هذه الاستراتيجية المعتمدة على القوة الذكية يتطلب إعادة التقييم استراتيجياً لكيفية تنظيم وتنسيق وتمويل الحكومة الأمريكية.

وكل هذا يتطلب قدراً لا يستهان به من الإبداع والابتكار، ولكن الولايات المتحدة كانت في الماضي قوة ذكية، وتستطيع أن تتحول إلى قوة ذكية من جديد.

القوة الذكية في الفكر الأمريكي

في أمريكا ، مثلت عبارة القوة الذكية إضافة الى كتاب المصطلحات الدبلوماسية في أعقاب غزو العراق عام ٢٠٠٣م ، لكن لاجديد في ذلك ، لأن مهمة الدبلوماسيين كانت تنحصر دائماً في استخدام عبارات مهذبة وجذابة في الحديث ، كي يحققوا بها مايريدونه ، فاذا لم يتمكنوا من تحقيق غاياتهم من خلال الكلام ، فانهم لايتورعون عن اختلاق المشكلات أجل تحقيقها ٠

وللتوفيق بين القوة الناعمة والقوة الخشنة ، يمكن اللجوء الى القوة الذكية ، اي الربط بين التسامح والشدة ، فبالقوة الناعمة تكون امريكا قادرة على ماتريد عن طريق الاغراء بدلاً من القسر ٠

تشير استطلاعات الرأي العام العالمي إلى تراجع قوة أمريكا وقدرتها على جذب الشعوب في كل من أوروبا وأمريكا اللاتينية ، وشعوب العالم الاسلامي ، ولما كان سهلاً على أية دولة أن تغير سياساتها أكثر من أن تغير ثقافتها ، فان في وسع أوباما أن ينتهج سياسات تساعده على استعادة بعض ماخسرته أمريكا من قوتها الناعمة ٠